تقديم الكتاب

لوسيان عقّاد مترجم الكلمة الإلهيّة بحياته وخدمته

الأب أيوب شهوان

مقدمة

يسرّني أن أقدّم باسم الرابطة الكتابية في إقليم الشرق الأوسط لكتاب **بحوثٍ مهداة إلى لوسيان عقّاد**، الأمين العام السابق لجمعيات الكتاب المقدس في منطقتنا، وأحد الذين كرّسوا وما زالوا حياتهم للهمّ الأوّل والأساسي لدى كلّ مؤمن بالمسيح، ألا وهو كلمة الله المدوّنة في الكتاب المقدّس.

إنّ روح التّعاون العلميّ والرعائيّ الذي يتجلّى أكثر فأكثر بين الرّابطة الكتابيّة العالميّة، والإقليميّة والمحلّية، من جهة، وبين جمعيّات الكتاب المقدّس، من جهة ثانية، وهذا بنظرنا من ثمار عمل الرّوح القدس فينا، هو في سياق توجّهات الرابطة الكتابية في لبنان، التي اتّخذ أعضاؤها بالإجماع قرارًا بتكريم القس لوسيان عقّاد.

١ – عمّال كلمة الله في شرقنا

نحن نؤمن أنّ الرّبّ يعمل في الأشخاص وبهم، كما بالقسّ بِلوسيان عقّاد في الجمعية المذكورة، وبالخوري بولس الفغالي في الرّابطة التي كان له فضلٌ كبير في توطيد أسسها وتفعيل إنطلاقتها بالزخم التي هي عليه في الشّرق الأوسط وفي لبنان، وللاثنين أيادٍ بيضاءُ في هذا التّعاون القائم والواعد.

إنّ عناصر أساسيّة وجوهريّة عدّة تجمعنا، أوّلها أنّنا نحمل على جباهنا الاسم الجميل الواحد، اسمَ المسيح يسوع؛ ثانيها أنّ الكتاب المقدّس هو مرجعنا

الواحد؛ وثالثها هو وجودنا معًا في منطقة الشّرق الأوسط، وبالتّالي الرسالة ملقاة على عاتقنا جميعًا تجاه إخوتنا العطاش إلى كلمة الحياة وإلى تفسيرها وتقديمها لهم، كما أيضًا تجاه مَن حولنا من مسلمين ويهود.

لذا، إذ نعي دورنا هذا أمام الله وأمام الناس، وندرك مدى عظم المسؤولية الملقاة على منكِبَي كلٍّ منّا، ونجاهد في سبيل ترسيخ معرفتنا في الكتاب المقدّس بأفضل الطّرق العلميّة، والتعمّق في ما يكتنزه من أسرار إلهية، وعيش تعاليمه ومبادئه بأفضل الوسائل التّطبيقيّة، نجد أنّ عملنا المشترك، علميًّا وراعويًا، هو فعلُ تمجيدٍ لله نُعليهِ من صميم القلب.

وأقول، وبتواضع، إنّ دورَنا مهمّ لأنّ المسيح أرادنا أن نحمله حتّى أقاصي الأرض، بدءًا بالأقرب؛ وأعتقد أنّه، عندما يحلّ السّلام في الشّرق الأوسط، ستكون مجالات رسالتنا واسعة وأكثر شمولية، وسيكون شرقنا بحاجة ماسّة إلى كلمة الله، لأنّه، «ما لم تجد إسرائيلُ مسيحَها، فإنّها ستبقى قلقةً وستُقلِق العالم»، كما قال الأب بِنْوَا في الجامعة العبرية في أوائل الستّينات.

نحن نؤمن أنّ دور الكتاب المقدّس خلاصيّ وأساسيّ في صنع السّلام. نقول كلامًا مبدئيًّا، مع علمنا أنّ تحقيقه لا هو في متناول اليد، ولا هو على رمية حجر.

ونؤمن أنّ الكتاب المقدّس، بما يتضمّن من رسالة ومن تعليمٍ أخلاقيّ وإنسانيّ، ومن مَدًى دينيّ وروحيّ، قد يكون وحده قادرًا على إنقاذ منطقتنا من الحروب وما يرافقها من مجازر وسفك دمّ وتهديم وعداوات وخصومات، أمورٍ مأساويّة نراها بأمّ العين، ونشهدها كلّ يوم، ونقول: حبّذا لو «كلمة الله التي كحدّ السيف» تفصل وتضع حدًّا لكل ما يُدمي ويؤلم!

لهذا، «الكتاب المقدّس هو أكثر من كتاب»! إنّه سلاحٌ هائل، كالذي يتكلّم عليه بولس الرسول ويدعو إلى اقتنائه، سلاح به يُقهَر الشّرّ القابع والمستوطن في كلّ زاويةٍ من زوايا الشّرق الأوسط.

إنّ الكتاب المقدّس، الذي يُعتبَر مجموعة كلماتٍ أو فنونٍ أدبيّة أو أنواعٍ من الروايات والحِكَم والمزامير والنبوءات وما إلى ذلك، والذي كُتِبَ بإلهامٍ من الرّوح القدس ليخبر بعمل الله الخالق والمخلّص، إنْ لم نجعل منه أكثر من كتاب، سيبقى مجرّد عملٍ منمَّقٍ، محفوظٍ في أجمل المكتبات، ومنقولٍ إلى آلاف اللغات، ولن يكون سوى «كالصّنج الّذي يطنّ والنّحاس الّذي يرنّ». دورنا أساسيّ إذًا في إعطاء الحياة للكتاب المقدّس، الذي «منه تتدفّق أساسًا أنهار ماء الحياة». هذا ما سعى لوسيان عقّاد إلى تحقيقه.

٢ – الكتاب المقدس كلمة الخلق والخلاص

انطلاقًا ممّا تقدّم، نؤكّد أن للكتاب المقدّس دورًا حاسمًا في حياة شعوبنا، حتى غير المؤمنة بالمسيح منها، لأنّها كلّها، اليهودية والمسيحية والإسلامية، ترى فيه «الكتاب» بامتياز، والكتاب كان لكي يُقرَأ، ويُقرَأ لكي يُحيي.

في البدء لم يكن الكتاب، بل الكلمة الخالقة والمخلّصة! في البدء لم يهتمّ الرّبّ الإله بأن يوضع كتاب يوجّه من خلاله المؤمنين به أو يتوجّه من خلاله إليهم، بل اعتنى في أن يُغدق مراحمه وبركاته على النّاس كلّما تناقصت فيهم الرّحمة وشحّت أو ندرت البركة. لذلك فالرّبّ الكلّي القدرة والكلّي الحنان والرّحمة، الّذي عندما يرى شعبه يتألّم، بسبب أعداءٍ إمّا من الخارج وإمّا من الدّاخل، بسبب الأمراض أو بسبب الكوارث والويلات، يسكب رحمته بوفرة يعجز الواصف أن يحيط بها.

هذا الاختبار بالذّات، اختبار تدخّل الله الخلاصيّ، بعد عمل الخلق العظيم، هو موضوع الكتاب المقدس. إذًا، ليس الكتاب هنا عملَ إنسانٍ ذي نظريّات عقائديّة أو لاهوتيّة يعرض هذه الأخيرة ليلقّنها الناس. إنه قبسٌ عن هَمّ الله الوحيد، الإنسان ، لذلك تدخّل ويتدخّل لصالح هذا الأخير عبر التّاريخ، الأمر الذي يشكّل مادّة الكتاب.

وإذا قرأنا الكتاب حتّى نهايته، نلاحظ أنّه يتضمّن فعلاً واحدًا لا غير، هو فعل: «خَلَقَ». فكلّ عمل الله، منذ البداية وحتّى النّهاية، هو عمليّة خلق: خلقٍ للحياة، وردٍّ للحياة عند الرجوع إلى العدم نتيجةً للخطيئة. لذلك، يكرّر الله عملَ الخلق عبر عمله الخلاصي.

إذًا، واضِعو الكتاب المقدّس، كتبوا عن أعمال الله، كما أيضًا عمّا كسبه الإنسان من هذه الأعمال. إنّها قصّة الله والإنسان اللذَيْن يرتبطان بفعل الخلق، أعظمِ فعلِ حُبٍّ منبثقٍ من الله. لهذا نقول: إنّ دعوة كلّ امرىءٍ هي أن يكون خلاّقًا! لم يتزوّج القديس بولس ، ومع ذلك استعمل كلماتٍ يحقّ طبيعيًّا للمرأة فقط استعمالها، ألا وهي: «أنا ولدتكم...»؛ «يا أولادي الذين أتمخّض حتى يتصوّر المسيح فيهم»... بالتّالي، كلّ إنسانٍ هو أساسًا عاملٌ للخلق، وهذا الشّيء هو الأعزّ على قلب الله.

إنّ ما دُوِّنَ في العهد القديم، وما تفوّه به إبراهيم وموسى والأنبياء والحكماء يخبر عن الله وعن عمله. على سبيل المثال نقول: إن المزمور ٥١، «إرحمني يا الله كعظيم رحمتك»، الذي نصنّفه بين مزامير الاستغاثة، موضوعه الحقيقي ليس التّوبة ولا الاستغاثة أو ما شابه، بل إعطاء صورة حقيقيّة عن الله القاضي العادل، الرّحوم والحنّان والمسامح. يتحوّل إذًا المزمور إلى لوحةٍ فنّيّة وأدبية ولاهوتية وروحية رائعة عن الله، أبدعها يراعُ مُلهَمٍ أُعطِيَ له مجدُ الإبداع.

٣ – واضعو الكتاب المقدس الملهمون

قال لي أبي يومًا: «يا ابني، لولا وجود الشّعراء المفكّرين المبدعين، لما وُجِدَ الكتاب المقدّس، لأنهم هم صاغة رسالة الله وصنّاعها، وهم ناقلوها وباسطوها للبرايا»؛ في الواقع، نحن نتلقّى الفكرة الرسالة من العلى، لكنّ الملهَم بيننا فنّيًّا وشعريًّا وروحيًا هو الكفوء في سكب كلام الله في كلمة. وتكملةً لهذا القول،

نُضيف: لولا وجود الناقلين من لسان إلى آخر، لَبَقِيَتْ كلمة الله لغزًا محصورًا بالمدركين والروحانيين، ولَعانَى معظم البشر من حرمان قتّالٍ رهيب!

إنّ كلّ ما حقّقه الله لأجل البشريّة، من تدخّلاتٍ ووعود وعهود، لولا وجود الملهمين، لما صاركتابًا. والإلهام أساسًا هو فعل الرّوح القدس؛ لهذا نؤمن أنّ هذا الرّوح يلهم مَن يختاره الله للكتابة عن مذهلات الخالق، من جهة، وعن جواب الإنسان على ذلك، من جهة ثانية.

أحد العلماء في الكتاب المقدّس، ويُدعى «لويس أَلُنْسُو–شُوكِل»، من أبٍ إسباني ومن أمٍّ ألمانيّة، وضع كتابًا تحت عنوان: **الكلمة المُلهَمة** (La parole inspirée)، أيّام المجمع الفاتيكاني الثّاني، أي في مطلع السّتّينات، أورد فيه فكرةً جديدةً لم تُقبَل في حينه في الكنيسة، مفادها هو التالي: «أنا أؤمن أنّ الرّوح القدس يُلهم الإنسان ، لكني أؤمن أيضًا أنّ الألهام يولد من النّاس». فالمحيط والعائلة والقرية تخلق إنسانًا مبدعًا، موسيقيًّا وفنّانًا؛ ويأتي الروح يفيض الإلهام، فيكون الكاتب البيبلي، وكم هذا حسن! رُفِضَت فكرة أَلُونْسُو–شُوكِل بدايةً، فأُهمِلَ الكتابُ رسميًّا، إلاّ أنّه تُرجِمَ خلال سنواتٍ قليلة، إلى ما يزيد عن الثلاثين لغة، وفرضت فكرتُه ذاتَها بين العلماء.

إنّ الكتاب المقدس هو ثمرة تفاعلٍ بين إلهاماتٍ تنزل من السّماء، وأخرى تطلع من بني الأرض. ومَن حرّر كتابًا من أسفار الكتاب المقدّس، يكون قد عاش اختبارَ العلاقة مع إلهه، كما أيضًا اختبار جماعته البشريّة، فكتب! إنه إنسانٌ يدرك إرادة الله، ويفهم الواقع الذي يعيش فيه، فيتحوّل إلى صوتٍ عذبٍ يصدح في رحاب العالم، داعيًا إلى الحياة. إنّ أجمل ما يزيّن الإنسان هو كونُه مُبدِعًا وخلاّقًا. والويل للإنسان العقيم العاقر!

٤ – التفاعل مع الكتاب المقدس

لا يمكن الإنسان العاقل والمفكّر والمؤمن إلاّ ان يتفاعل والحدث الإلهيّ–

البشريّ، أن يُعجَب ويفرح به، ويتساءل: كيف لي أن أحوّل هذا الخبر، أنا الحامل اسم المسيح، إلى فعلٍ في حياتي؟

إنّ دور المفسّر الملهَم مهمٌّ جدًّا، لأنه يتمتّع برهافة الحسّ، وإن كان إنسانًا عقلانيًّا، ويستعمل المناهج العلميّة، ويفسّر بنية النّصّ وأصل الكلمة، لا يمكن أن يصبح عالمًا بالنّفوس ما لم يكن إنسانيًّا أوّلاً، وروحانيًّا ثانيًا.

هذا هو المفسّر بالدّرجة الأولى، القارئ المتفاعل والمدرك والفاهم للأمور، هو الذي يجعل من الكتاب المقدّس أكثر من كتاب، وهو الذي يضع يده بيد الله لإيصال رسالة. بالتالي، العاملون في حقل الكتاب المقدّس ليسوا روّاد نظريّات، ولا طلاّب آراءٍ حول النّصوص، بل، كما يقول القديس بولس، «مبشّرون بالمسيح مصلوبًا». عندما حاول بولس التبشير بالمسيح فلسفيًّا وتحليليًّا فشل. فالكتاب المقدّس يضجّ بالحياة التي يجب أن تتدفّق يدخل القارىء في علاقة مع ربّ الحياة.

كلمة المفسِّر إذًا تقيم الكلمة من جمادها وتعطيها الحياة، شرط أن يكون المفسّر خبيرًا مُختبرًا في الإنسانيّات، وراقيًا ومتساميًا في الروحانيّات، وهذا ما يجعل الكتاب المقدّس أكثر من كتاب.

وهنا نقول إنّ الكتاب المقدّس لا يُفَسَّر بطريقةٍ واحدة. فأمام مشهدٍ طبيعي واحد، كلٌّ يندهش بالمنظر الذي يعنيه مباشرةً. لهذا، الكتاب المقدّس هو كنزٌ، ليس من المعلومات وحسب، بل أيضًا من التفاعلات والتفاسير والعطاءات التي لا تُحَدّ.

نحن أمام واقعٍ يجب أن نعيه اليوم، ألا وهو إحياء الكتاب المقدّس كي لا يبقى مسألة تعليمٍ جامعي أو تقني أو منهجي وحسب. نحن أمام حاجةٍ ملحّة بأن نعطي لهذا الكتاب الرّوح، «لأنّ الحرف وحده يقتل». نبغي أن يتحوّل الكتاب إلى روح يهبّ حيث يشاء، تمامًا كما فعل بالرّسل الملتئمين في العلّيّة.

لهذا بمقدور أيّ إنسانٍ يعصف فيه الرّوح القدس، أن يهزّ الدّنيا، والرّوح القدس من خلال الكتاب المقدّس يفعل فعله فينا، ويعلّمنا ويؤدّبنا ويفهمنا لكي تكون لنا الحياة. لهذا السّبب، وكما كان المسيح أمس واليوم، هكذا يكون الكتاب علّة حياة لنا وللكثيرين.

هذا أيضًا كان ويبقى همَّ لوسيان عقّاد.

٥ – الكتاب المقدس كتاب «الله معنا»

إذا كنت فعلاً أمينًا للمسيح، يجب أن أقرأ الكتاب ليس على أنّه مجموعة نصوصٍ وحسب، بل على أنّه حضور الله في ما بيننا. هو منذ البدء قال: «أكون معك». وهو سمّى المسيح الآتي «عمّانوئيل، الله معنا».

إنّ الله معنا تاريخيًّا بأعماله أوّلاً، ثمّ بابنه الحبيب، وبعد ذلك بالكلمة الّتي تركها لنا، وهي الكتاب. إنّ الرّوح القدس الذي ألهمَ ووجّه كاتبِيّ الإنجيل المقدّس، يفعل الشّيء ذاته معنا، إذا ما كنّا على استعدادٍ يَقِظٍ وحكيم ومتنبّه كي نتلقّى الإلهام بهذا الأناء المقدّس، هيكل الرّوح القدس.

يختصر الكتاب المقدّس كلّ تدخّل الله تجاه الإنسان، تنفيذًا لوعده، «أكون معك»، وكلّ علاقة الإنسان مع الله.

هذا ما أدركه لوسيان عقّاد، فجاهد ليكون أداةً بيد الربّ من خلال العمل الدؤوب ليجعل الناس يدركون أكثر أنّ «الله معنا».

٦ – نَقْلُ الكتاب المقدس

وعت الكنيسة منذ بداياتها ضرورة نقل نصوص الكتاب المقدس إلى لغات الشعوب كافة، ونجحت في تخطّي حاجز «قدسية اللغة» لتتكلّم كل لغات الأرض كي يصل كلام الله إلى الجميع.

وعى القس لوسيان عقّاد هذا الأمر، كما المغفور له والده من قبل، فوجّه انتباهه نحو نقل نصوص الكتاب المقدس إلى لغة منطقتنا الأولى، أي العربية، وراح يشجّع التعريب في جمعيات الكتاب المقدس وخارجها، ويصدر ما يلزم من الطبعات، ليمدّ بها الجائعين والعطاش إلى البرّ.

خاتمة

استنادًا إلى ما تقدّم نقول: هنيئًا لمن يصغي إلى الكتاب المقدس، ويجعل هواه في الرب، ولكن هنيئًا لمن يعيد كتابته بالأفعال وليس بالمداد وحسب. هنيئًا، بالتالي، للقس لوسيان عقّاد الذي نجح في تحقيق هذه العظائم حبًّا بالرب، حبًّا بالإنسان!